المترفون ووعيدهم في القرآن المبين

تأليف

الدكتورة / حصة أحمد عبد الله الغزال

المدرس بقسم أصول الدين

بكلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للخلق أجمعين . أرسله الله عز وجل ﴿ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾(١) .

وأنزل عليه القرآن المبين حاوياً لكل الأساليب التربوية التي تُقوّم الإنسان وتصلح أحوال الخلق جميعاً في كل زمان ومكان .

أما بعد : فإن المتأمل في آيات القرآن المبين يجد أن من أهم أهدافه ومن أعظم ركائزه الأساسية ((الوعيد)) ركز الله تعالي عليه في القرآن مع مقابله وهو الوعد ، ليمتلئ قلب الإنسان كل إنسان وبالأخص المؤمن الموحد لله عز وجل رهبة ورغبة وتخويفاً وأمناً ، فالبوعيد يخاف الإنسان من عمل الشر والفساد، وبالوعد يطمع ويسارع إلي عمل الخير والصلاح .

ولذلك : تنوعت ألوانهما وتعددت صورهما وتفننت صنوفهما، بصيغ وعبارات وآيات تأسر القلب وتثير المشاعر وتجعل الإنسان دائماً بين الخوف والرجاء .

ولقد لفت نظري وشد انتباهي آيات الوعيد في القرآن الكريم .

فقد تحصَّل لي أن : الوعيد – يتنوع تنوعاً يتوافق مع طبيعة النفوس على اختلاف طبائعها وتباين بيئتها .

فيري المتدبر أن القرآن الكريم قد رصد لكل نوعية من أنواع الناس وعيداً وتخويفاً يتناسب مع العمل الذي اقترفوه واكتسبوه ووفق الدوافع التي دفعتهم إليه وطبق نوازع الشر التي وجهت نفوسهم إليه .

---

(١) سورة الأحزاب، رقمها(٣٣):الآيتان (٤٥ ، ٤٦)

وهـذا مـا جعـل وعيد القرآن الكريم وأنواع زواجره وصنوف إنذاراتـه أبلـغ وأوقع وأوجع وأشد تأثيراً في النفوس والقلوب إذا تدبرها الإنسان بوعي تام ، وتدبر واع، وروح صافية تصبو إلي الحق والصواب.

ودراسـة ألوان الوعيد وصنوف التخويف في القرآن الكريم تحتاج إلي مصنفات متعددة وموسوعات جامعة شاملة .

ومـن ثـم توجهت بتوفيق الله عز وجل وجليل عونه إلي دراسة مظهـر من مظاهر الوعيد في القرآن العظيم طالما لفت نظري وكثيراً ما تطلعت إلي دراسته وهو ((المترفون ووعيدهم في القرآن المبين)) .

ممـا حفزنـي إلـي تتبع الآيات التي ذكر فيها الترف والمترفون ودراسـتها دراسـة موضوعية مستوعبة تبرز مضامينها وتوضح أبعادها وتظهر مفاهيمها ومقاصدها .

وقـد قصدت من ذلك تقديم دراسة في الوعيد والترهيب والتخويف لكـبح جمـاح الـنفوس التي استولت عليها المادة ، وشغلتها ملذات الدنيا وشـهواتها وأطغاهـا الترف والتنعم حتى أنستها المُنْعِم وهو الله عز وجل الذي أمدها بهذه النعم وأفاض عليها من هباته وعطاياه .

فلمـا نست طغت وبغت وعاثت في الأرض فساداً وإفساداً حتى ملأ الشر أجواء الدنيا براً وبحراً وفضاءً .

ممـا كـان سـبباً في كثرة المصائب وتعدد النكبات وتنوع البلايا وصـدق الله عز وجل فهو يقول ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١)

ممـا كان سبباً – كذلك – في شيوع الشر وغلبة المضرة والضرر بـالخلق والناس وكان سبباً مباشراً في هلاك الناس وما يصيبهم من نصب ووصـب ، قـال تعـالى : ﴿ وَاتَّقُـوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ (٢)

وأملـي فـيما أقدمه في هذه الدراسة المتواضعة أن يكون موعظة زاجـرة وبلاغاً مرشداً ودرساً نافعاً لمن استيقظت في نفوسهم نوازع الشر

(١) سورة الروم، رقمها (٣٠): الآية (٤١) .
(٢) سورة الأنفال ، رقمها (٨) : الآية (٢٥) .

واعتملـت في قلوبهم دوافع البطر والكبر. وسداً منيعاً لمن استولت عليهم الشـهوات وأتـرف بالنعم فأطغتها وأفسدتها حتى يلتفت الناس جميعاً إلي القرآن الكريم ويتعلموا من تعاليمه ويسترشدوا بهداه .
فللجميع أقدم هذه الدراسة نوراً مضيئاً .

﴿ قَـدْ جَـاءَكُم مِّـنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْـوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١)

وبهـذا تتبين هدايات القرآن وإرشاداته وتعاليمه وما أحسن منهجه فـي تقويم الإنسان وتربيته تربية سليمة قويمة وذلك بما تضمنه من ألوان الوعد والبشارة ، وما احتواه من صنوف الوعيد والإنذار .

كمـا يقـول تعالي : ﴿ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِيـنَ الَّذِيـنَ يَعْمَلُـونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً . وأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ اعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (٢)

والله الموفق والمعين .

(١) سورة المائدة ، رقمها(٥): الآيتان (١٥ ، ١٦) .
(٢) سورة الإسراء ، رقمها (١٧) : الآيتان (٩ ، ١٠) .

خطة البحث:

سوف أسلك في هذا البحث المنهج الذي ينبغي أن يدرس به موضوعات القرآن الكريم ليهتدي به الدارسون للقرآن العظيم وليتبين به جوانب البحث وأغراضه وأهدافه ونتائجه .

المبحث الأول : أقوم بجمع الآيات موضوع البحث ((المترفون ووعيدهم في القرآن المبين)) مع ترتيبها حسب نزولها .

المبحث الثاني : بيان التعريف بالترف والمترفين وأثر الترف في الفرد والمجتمع .

المبحث الثالث : بيان الأسباب التي أدت بهم إلي الطغيان والفساد.

المبحث الرابع : بيان ألوان وعيد المترفين في الدنيا والآخرة .

المبحث الخامس : بيان أمثلة من قصص القرآن الكريم للمترفين وما نزل بهم من عذاب وهلاك .

الخاتمة : بيان النتائج والمفاهيم المستفادة من هذه الدراسة .

****

المبحث الأول
آيات الترف والمترفين في القرآن الكريم مترتبة حسب النزول

م	الآية	اسم السورة	رقم الآية	اللفظ المذكور في الآية
١	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾	الواقعة	٤٥	مترفين
٢	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾	الإسراء	١٦	مترفيها
٣	﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾	هود	١١٦	أترفوا
٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾	سبأ	٣٤	مترفوها
٥	﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾	الزخرف	٢٣	مترفوها
٦	﴿ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلِي مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾	الأنبياء	١٣	أترفتم
٧	﴿ وَقَالَ الْمَلأ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِّثْلُكُم يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾	المؤمنون	٣٣	وأترفناهم
٨	﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾	المؤمنون	٦٤	مترفيهم

***

المبحث الثاني
بيان التعريف بالترف والمترفين وأثر الترف في الفرد والمجتمع

الترف والمترفون في اللغة :

الترف من ترف يترف ــ من باب فرح يفرح ــ ترفا : تنعم .
ويقال : ترف النبات ترفا : كثر ماؤه ونضر وتروى .
ومنه الترفة : أي المسقاة يشرب بها .
والترفة أيضاً : هنة ناتئة في وسط الشفة العليا خلقة والترفة : الطعام الطيب .
وكل طرفة : ترفة .
وأترفه : أعطاه شهوته .
وأترفته النعمة : أبطرته وأطغته وأفسدته .
وترف الرجل : تنعم .
وأترفه الله : أذاقه لذة النعمة .
وأترف الرجل : أصر على البغي .
والتتريف : حسن الغذاء .
والمترف : اسم مفعول من أترفه أي جعله ذا ثُرفة - بضم التاء وسكون الراء - أي نعمة واسعة .
(وبناؤه للمجهول لعدم الإحاطة بالفاعل الحقيقي للإترف كشأن الأفعال التي التزم فيها الإسناد المجازي العقلي الذي ليس لمثله حقيقة عقلية ، ولا يقدر بنحو : أترفه الله، لأن العرب لم يكونوا يقدرون ذلك فهذا من باب : قال قائل ، وسأل سائل)[١]

(١) تفسير التحرير والتنوير/ لابن عاشور / ج٢٧ / ص٣٠٦

فالمترف : المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها . وجمعه مترفون[١]
والمتتبع لمادة ((ترف)) ومشتقاتها يحصل له أن جميعها يدور حول : زيادة التنعم المؤدي إلي الطغيان والبغي والفساد . سواء كان الترف مادياً أو معنوياً . ومن ذلك أري أن الترف والمترفين في الاصطلاح هو التوسع في إشباع الملذات المؤدي بصاحبه إلي الاستغراق في التنعم والشهوات إلي درجة الطغيان والفساد . لأن الترف في أصله ليس مذموماً وإنما المذموم ما يؤدي إليه الترف من فساد وشر وطغيان .
وقد فسر المترفون بأنهم المتكبرون عن قبول الحق .

الترف في القرآن :

وقد جاء الترف والمترفون في القرآن الكريم في جميع المواضع التي ذكر فيها بهذا المعنى . أي أن التَّرفُّهْ هو التوسع في النعمة إلي حد الطغيان والفساد .
وهذا ما جعل الراغب يقول عن المترفين بعد ذكر بعض الآيات التي ذكروا فيها : (وهم الموصوفون بقوله تعالي : ﴿ **فأمَّا الإنسَانُ إذا مَا ابتلاهُ رَبُّهُ فأكرَمَهُ ونَعَّمَهُ** ﴾ [٢])[٣]
وأرى أن الأوفق لشأن المترفين وصفاتهم قوله تعالي : ﴿ **كَلا إنَّ الإنسَانَ ليَطغَى . أن رَآهُ استَغْنَى** ﴾[٤]
فقوله تعالي : (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وكفران النعمة يكون بعدم شكر الله تعالي عليها . كما يكون باستعمالها في غير ما خلقت له .

(١) القاموس المحيط / للفيروز آبادي /ج٣/١٢٠
ــ لسان العرب /لابن منظور /ج٩/ص١٧
ــ الصحاح / للجوهري / ج٤ / ص١٣٣٣ / ط٢
ــ المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية / ١ / ٨٧ ــ ٨٨ / ط٣
ــ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية / محمد إسماعيل إبراهيم / ص ٨٥
ــ المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصبهاني / ص ٩٨ .
(٢) سورة الفجر : رقمها (٨٩) : الآية رقم (١٥) .
(٣) انظر المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصبهاني / ص ٩٨
(٤) سورة العلق : رقمها (٩٦) : الآيتان (٦ ، ٧).

ثم بين تعالي المردوع والمردوع عنه بقوله:(إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطغَى) أن يتجاوز الحد ويستكبر على ربه .

والإنسان يراد به أبو جهل عند كثير من المفسرين .

وقال بعضهم : أن المراد بالإنسان المذكور في الآية الكريمة هو جملة الإنسان أي يعم ويشمل كل إنسان على اختلاف البيئات والأماكن والأزمان .

وهذا القول هو ما يرجحه ويرشحه الرأي الصائب [١].

يقول الفخر الرازي : (والقول الأول وأن كان أظهر بحسب الروايات ، إلا أن هذا القول أقرب بحسب الظاهر ، لأنه تعالي بين أن الله سبحانه مع أنه خلقه من علقة ، وأنعم عليه بالنعم التي قدمنا ذكرها ، إذ أغناه ، وزاد في النعمة عليه فإنه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع هوى النفس ، وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة .

ثم أنه تعالى أكد هذا الزجر بقوله : (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) [٢] أي إلي حيث لا مالك سواه فتقع المحاسبة على ما كان منه من العمل والمؤاخذة بحسب ذلك)[٣].

والطغيان هو التكبر والتمرد .

وتحقيق الكلام في هذه الآية : أن الله تعالى لما ذكر في مقدمة السورة دلائل ظاهرة على التوحيد والقدرة والحكمة بحيث يبعد من العاقل ألا يطلع عليها ولا يقف على حقائقها.

أتبعها بما هو السبب الأصلي في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والاشتغال بالمال والجاه والثروة والقدرة فإنه لا سبب لعمى القلب في الحقيقة إلا ذلك)[٤].

ولذلك نجد أن قوله : (أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى) وقع مفعولاً له والمعنى: أي يطغى لأن رأي وعلم نفسه مستغنياً أو أبصر .

مثل أبي جهل وأصحابه .

---

(١) التفسير الكبير / للفخر الرازي / ج٣٢ / ص ١٧ ، ١٨ .
(٢) سورة العلق : رقمها (٩٦) : الآية رقم (٨) .
(٣) التفسير الكبير / للفخر الرازي / ج٣٢/ص١٨
(٤) المرجع السابق ١٨/٣٢

ومثل فرعون أدعى الربوبية .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : منهومان لا يشبعان : طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان

أما طالب العلم فيزداد في رضى الله .

وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان .

وأنت ترى أن تقليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء للإيذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد .

ومن الفوائد الملهمة أنك تجد أول سورة العلق (يدل على مدح العلم ،وآخرها يدل على مذمة المال .

وكفى بذلك مرغماً في الدين والعلم ومنفراً عن النهم في طلب الدنيا والمال .)[١]

وقد أكون أطنبت هنا قاصدة بذلك بيان وتوضيح أن الغنى والترف وكثرة الثروة وسعة النعمة ليس مذموماً في أصله . وإنما المذموم ما يترتب عليه من الوعيد والإنذار وهو ما يؤدي إليها الترف والغنى من طغيان وفساد وبغي وعدوان .

أثر الإترف في الفرد والمجتمع

لا يغيب عن فكر أحد من الناس ذوي العقول السليمة والقلوب الصحيحة ما ينتجه الترف من آثار فاسدة ونتائج ضارة تظهر على الفرد المترف أولاً ثم تنسحب إلي أبناء مجتمعه ومن حوله .

فمن جهة أثر الترف على الفرد :

نرى أن الإسراف في استعمال النعمة والتوسع في إشباع الغرائز والاستغراق في الملذات والشهوات يُقسّي القلب ويغشي البصيرة ويجعل صاحبه ساعياً وراء إشباع حاجاته وغرائزه . لا يأبه بالقيم أو الفضائل وإنما يكون كل سعيه لكسب الرذائل .

فيصبح فاسداً ضالاً طاغياً باغياً .

---

(١) التفسير الكبير / للفخر الرازي / ج٣٢ /ص ١٩ . بتصرف .

وفـــي هذه الحالة قد يلتفت إليه بعض من حوله . فيحاولون تقليده واتـــباعه فيترسمون خطواته ويسلكون مسلكه في الشر والفساد والطغيان والبغي والعتو ، فيصبح فاسداً لأهله ومجتمعه .

ومن ذلك يظهر أثر الترف على المجتمع :

ومـــن أهم ما نتبين منه أثر الترف على المجتمع ما جاء في قصة قارون والذين فتنوا به وبماله وزينته .

فـــتطلعوا إلـــي مثل ما يملك قارون حيث قالوا : ﴿ يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ (١)

وإذن أصبح قارون وزينته وماله مصدر فتنة لعامة المجتمع الذي يعيش فيه .

ولـــو تـــرك الله عز وجل قارون وشأنه لأصبح مجتمع قارون كله فاســـداً مفســـداً لا يصـــلح للحياة ولا لعمارة الأرض التي أراد الله تعالى عمارتها بالصلاح والخير .

وهـــذه الآثار الاجتماعية المترتبة على الترف والمترفين وسلوكهم الضال المضل يفصح عنهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (٢)

وهـــذا ما يوضحه خطوات البحث اللاحقة بعون الله تعالى وحسن توفيقه . والله من وراء القصد .

(١) سورة القصص ،رقمها (٢٨) : الآية (٧٩)
(٢) سورة الإسراء ، رقمها (١٧) : الآية (١٦)

المبحث الثالث
بيان الأسباب التي أدت بهم إلي الطغيان والفساد

إن الـــترف والتوسع في التنعم والتشبع بأنواع الملذات والشهوات ليس مذموماً مادام في الحدود التي شرعها الله عز وجل وأحلها لعباده وما كان التنعم والمترف سائراً على وفق الطريق الصحيح والسنة الهادية التي ابانها الله تعالى لعباده ، فإذا أشبع الإنسان نفسه من الملذات والشهوات في حـــدود نفســـه وطـــبق معايـــير خاصـــة به لا تدفع به إلي تجاوز الحدود والطغيان والفساد الذي يؤدي به إلي الصدود عن دين الله عز وجل وإنكار الأصول وترك الشرائع والفروع فأنه لا يذم ولا ينضم إلي طائفة المترفين الـــذي أوعدهم الله عز وجل وأنذرهم بشديد عقابه وأهوال عذابه في الدنيا والأخرة .

أولاً : ألهـــتهم الـــنعمة وسعة التنعم ورغد العيش عن توحيد الله عز وجل وذكره وشكره . يقول الله تعالى في سورة الواقعة وهي أول سورة ذكـــر فـــيها المترفون حسب تاريخ النزول ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ .وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ . لا بَارِدٍ وَلا كَـــرِيمٍ . إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ.وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِـــيمِ . وَكَـــانُوا يَقُولُـــونَ أَئِـــذَا مِتْـــنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴾ (١)

فقد أبان الله عز وجل أن أول سبب لاستحقاقهم للعذاب وكونهم من أصحاب الشمال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ أي كانوا في دار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام .

يقول الفخر الرازي : (جعل السبب كونهم مترفين . وليس كل من هو من أصحاب الشمال يكون مترفاً فإن منهم من يكون فقيراً .

نقـــول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ ليس بذم ، فإن المترف هو الذي جعل ذا ترف أي نعمة ، فظاهر ذلك لا يوجب ذماً ، لكن ذلك يبين قبح ما ذكر عنهم بعده :

(١) سورة الواقعة ، رقمها (٥٦):الآيات من (٤١ ــ ٤٨)

وهـو قولـه تعالى : ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنثِ العَظِيمِ ﴾ لأن صدور الكفران ممن عليه غاية الإنعام أقبح القبائح.

فقـال : أنهـم كانوا مترفين ،ولم يشكروا نعم الله بل أصروا على الذنب ، وعلى هذا فنقول :

الـنعم التـي تقتضي شكر الله وعبادته في كل أحد كثيرة . فإن الخلـق والرزق وما يحتاج إليه وتتوقف مصالحه عليه حاصل للكل ، غاية مـا في الباب أن حال الناس في الإترافٍ متقارب ، فيقال في حق البعض بالنسبة إلي البعض إنه في ضر ولو حمل نفسه القناعة لكان أغنى الأغنياء غير أن طلب الغنى يورث الفقر).

ويستطرد الرازي قائلاً : (وفي الآيات إشارة إلي الأصول الثلاثة):

أولاً : فقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ من حيث الاستعمال يـدل علـى ذمهـم بإنكـار الرسل ، إذ المترف متكبر بسبب الغنى فينكر الرسالة .

والمترفون يقولون : ﴿ أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ ﴾[١]

ثانياً : وقوله : ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنثِ العَظِيمِ ﴾ إشارة إلي الشـرك ومخالفـة التوحـيد ، فالمعـنى أنهم يقيمون على الحنث العظيم ويسـتمرون على الكفر وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله سبحانه ولا ينوون توبة)[٢]

قال ابن عباس : الحنث العظيم : الشرك[٣]

---

(١) سورة القمر ، رقمها (٥٤) : الآية (٢٤)

(٢) انظر التفسير الكبير / للفخر الرازي /بتصرف يسير ج ٢٩/١٧٠، ١٧١ .
ـ وتفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور /٢٧/٣٠٦ ، ٣٠٧ .
ـ وفتح البيان في مقاصد القرآن / لأبي الطيب القنوجي البخاري /١٣/٣٧٢
ـ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية /١٤/٢٥٣

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس /ص٤٥٤
ـ وزاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي /ج٨/ص١٤٤،ط.المكتب الإسلامي :بيروت
ـ والدر المنثور في التفسير بالمأثور / أسند إلي ابن عباس أن المراد (الذنب العظيم)/ج٦/ص١٦٠/ط.دار المعرفة بيروت

وقال الشعبي : هو اليمين الغموس[١]

وكلاهمـا واحد فأن اليمين الغموس من نتائج الشرك وضعف نور توحـيد الله عـز وجل في القلب والمتدبر في هذه الآية الكريمة : ﴿ وَكَـانُوا يُصِـرُّونَ عَلَـى الحِنثِ العَظِيمِ ﴾ يظهر له وجوهاً من المبالغات :

١- اجـتماع الماضي ﴿ كانوا ﴾ والمضارع ﴿ يصرون﴾ مما يدل على الاستمرار والتمادي.

٢- التعبير بلفظ الإصرار (يصرون) الدال على المداومة على المعصية والغلول ولا يقال أصر في الخير.

٣- التعبير عن معصيتهم بلفظ (الحنث) فإن الحنث فوق الذنب . فإن الحنـث لا يكـاد في اللغة يقع على الصغيرة والذنب يقع عليها . يقول الراغـب عن الحنث إنه : (الذنب المؤثم وسمى اليمين الغموس حنثاً لذلك)[٢]

٤- ووصـف الحنـث بالعظـيم فإنه يفيد أن المراد به الشرك فإن هذه الأمور لا تجتمع في غير الشرك .

ثالـثاً : كـانوا يـنكرون البعـث والجزاء وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وَكَـانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُون ﴾ ففي قولهم هذا إشارة إلي إنكار الحشر والنشر .[٣]

فأنـت تـرى أن تعليل ما يلقاه وينالـه أصحاب الشمال من العـذاب هو ما يتضمنه هذا التعليل من أحوال كفرهم وماله الأثر فـي إلحـاق العـذاب بهم وهو ترفهم المطغي الذي أدى بهم إلي الشرك والتمادي في الكفر والمعاصي وإنكار البعث والجزاء.

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير /للشوكاني/ج٥ /١٥٤.
ـ وتفسير الخازن /المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل /٤/٢٢٠.
ـ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز /لابن عطية /١٤/٢٥٤.
ـ وتفسير البغوي المسمى معالم التنزيل /٤/٢٨٦/ط.دار المعرفة بيروت ـ لبنان.

(٢) المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصبهاني / ص١٩٠

(٣) التفسير الكبير / للفخر / ٢٩ /١٧١ /ط١

وكـل ذلـك قد نتج عن الترف الذي أنساهم الحق وشغلهم عن النظر الصائب والفكر المستقيم .

فـإن الترف في العيش والتوسع في التنعم ليس جريمة في ذاتـه فكـم من مؤمن عاش في ترف . وكم من كافر فقيراً وليس مترفاً في عيشه .

وهـذا مـا يجعلنا نقول : أن الترف ليس سبباً مستقلاً في تسـبب العقاب الذي أوعد الله تعالى به المترفين ، وهذا ما يجعلنا نقول : إن تأويل هذا التعليل : إما بأن يكون الإتراف سبباً باعتبار ضميمة ما ذكر بعده إليه بأن كان إصرارهم على الحنث وتكذيبهم بالبعث جريمتين عظيمتين لأنهما محفوفتان بكفر نعمة الترف التي خولهم الله تعالى إياها على نحو قوله تعالى : ﴿ **وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ** ﴾ [١] .

فـيكون الإتراف جزء سبب وليس سبباً مستقلاً . وفي هذا مـن معـنى قوله تعالى ﴿ **وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً** ﴾ [٢]

وإمـا بـأن يـراد أن الترف والعيش علّقَ قلوبهم بالدنيا واطمـأنوا بها فكان ذلك مملياً على خواطرهم إنكار الحياة الآخرة فيكون المراد الترف الذي هذا الإنكار عارض له وشديد الملازمة له .

فمـثله مـثل قولـه تعـالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ** ﴾ [٣]

وباسـتعراض الآيـات القرآنـية التـي جاء ذكر الترف والمترفيـن فـيها يتضح لنا أن جميعها تتضمن أن الترف المذموم والـذي توعـد الله تعالى وأنذر أصحابه هو الترف المستولي على صاحبه حتى شغله عن اتباع الحق وسلوك منهج الخير والصلاح.

---

(١) سورة الواقعة ، رقمها (٥٦) : الآية (٨٢)
(٢) سورة المزمل ، ورقمها (٧٣) : الآية (١١)
(٣) سورة محمد ، رقمها (٤٧) : الآية (١٥)

ثانياً : (مخالفة الحق والتمادي في الفساد والطغيان) :

بالـنظر إلي آيات سورة الإسراء وهي السورة الثانية التي جـاء فـيها ذكر الترف حسب النزول . فالله تعالى يقول : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ [١]

فقـد جاءت هذه الآية الكريمة بعد قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾[٢]

فـبعد أن يبيـن الله عز وجل أنه لا يعذب أحداً إلا بعد أن يرسـل إليه رسولاً يبين له طريق الحق وطريق الضلالة جاء بهذه الآية الكريمة لبيان أن علة وسبب هلاك الهالكين وعذاب المعذبين هـو مخالفـة أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والتمادي على الفساد والطغيان .

وقو ـله : ﴿ **أَمَـرْنَا** ﴾ قرأة الجمهور ، من الأمر الذي هو ضـد النهـي والأكثر ون من المفسرين على أن التقدير : أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا .

وقـيل : إن التقدير : أمرناهم بالفسق ففسقوا ، وهذا قول الزمخشـري ومـن لف لفه وهو قول قد قامت شواهد كثيرة على فساده .

فـالقول الصـحيح أن المعنى أمرناهم بالأعمال الصالحة وهـي الإيمـان والطاعة . والقوم خالفوا ذلك عناداً وأقدموا على الفسق .

وقيل : أن معنى أمرنا : كثّرنا : أي كثرنا مترفيها[٣] .

---

(١) سورة الإسراء ، رقمها (١٧) : الآية (١٦)
(٢) سورة الإسراء ، رقمها (١٧) : الآية (١٥)
(٣) انظر الكشاف للزمخشري / ج٢ / ٤٤٢
ـ وروح المعاني للألوسي /م٨ /ج١٥ / ٤٣ ، ٤٤ .
ـ والتفسير الكبير للفخر الرازي / ج٢٠ / ١٧٤ .
ـ وتفسير التحرير والتنوير/ لابن عاشور/٥٣/١٥
ـ وتفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل /١٥٩/٣
ـ وفتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق بن حسن القنوجي البخاري / ٣٦٧/٧-٣٦٨.

واستدل من قال ذلك بما جاء في الحديث الشريف : (خير مال المرء له مهرة مأمورة[١] أو سكة[٢] مأبورة[٣])[٤]

---

(١) مهرة مأمورة : هي الكثيرة النسل والنتاج.
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير /١/ ٦٥
(٢) السكة : الطريقة المصطفة من النخل .
(٣) المأبورة : الملقحة .
وقيل السكة : سكة الحرث .
والمأبورة : المصلحة ،أراد خير المال نتاج أو زرع.
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير /١/ ١٣
(٤) أخرجه أحمد في المسند /ج١٢/رقم١٥٧٨٩/ص٣٤٣/واللفظ له.
ـ والطبراني في المعجم الكبير /ج٧/رقم ٦٤٧٠/ص٩١.
ـ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد /ج٥/ص٢٥٨/كتاب الجهاد/باب ما جاء في الخيل/وقال رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.
ـ والبيهقي في السنن الكبرى/ ج١٠/ص٦٤/كتاب الإيمان . باب من حلف ماله مال وله عرض أو عقار أو حيوان.
ـ والقضاعي في مسند الشهاب /ج٢/رقم ١٢٥١/ص٢٣١.
ـ وابن سعد في الطبقات الكبرى /ج٧ /ص٥٥/ط١.
ـ والبخاري في التاريخ الكبير /١/رقم١٤٠٧/ص٤٣٨.
ـ راجع الجامع لأحكام القرآن /للقرطبي .م٥/ج١٠/ص٢٣٣.
ـ وفتح الباري / لابن حجر/ج٨/ص٢٤٧.
ـ كما ذكره أصحاب التراجم اللذين ترجموا لسويد بن هبيرة :
أ ـ كالإصابة في تمييز الصحابة /لابن حجر/ج٤/ رقم ٣٦٠٦ /ص ٣٠٤
ب ـ والاستيعاب في معرفة الأصحاب / لابن عبد البر/ج٢/رقم ١١٢٥/ ص ٦٨١.
ج ـ وأسد الغابة في معرفة الصحابة /لابن الاثير/ج ٢ /رقم ٢٣٦١ /ص ٤٩.
والحديث رواه روح بن عبادة عن أبي نعامة العدوي عن مسلم بن بديل عن إياس بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي ((صلي الله عليه وسلم))
ـ قال الزين (إسناده حسن) لأجل أبي نعامة العدوي ـ عمرو بن عيسى بن هبيرة وهو صدوق اختلط .
ـ انظر تقريب التهذيب : لابن حجر العسقلاني / رقم ٥١٢٤/ ص ٧٤٢ .
ـ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال / للمزي / ج ٢٢ / رقم ٤٤٢٤ / ص ١٨٠ .

وقرئ : أمَّرْنَا أي كثرنا وقيل : بمعنى ولياهم وصيرناهم أمراء[١]

(وتعلـيق الأمـر بخصـوص المترفين مع أن الرسل صلوات الله وسـلامه عليهم يخاطبون جميع الناس ، لأن عصيانهم الأمر الموجه إليهم هـو سـبب فسـقهم وفسـق بقية قومهم إذ هم قادة العامة وزعماء الكفر فالخطاب في الأكثر يتوجه إليهم ، فإذا فسقوا عن الأمر اتبعهم الدهماء فعَمّ الفسق أو غلب على القرية فاستحقت الهلاك)[٢].

يقـول الشيخ زكريا الأنصاري : (وقيَّد ـ أي الأمر ـ بالمترفين وإن كـان الأمـر لا يختص بهم لأن صلاحهم أو فسادهم مستلزم لصلاح غيرهم أو فساده)[٣].

ـ وكذلك مسلم بن بديل العدوي ، وثقه ابن حبان ، وسكت عنه البخاري وكذا تماماً إياس بن زهير .سويد بن هبيرة بن عبد الحارث الديلي وقيل العبدي وقيل العدوي ، مختلف في صحبته ،فأثبتها له ابن عبد البر وابن عدي . ونفاها عنه ابن حبان وابن أبي حاتم.
ـ انظر هامش المسند للإمام أحمد بن حنبل / شرحه ووضع فهارسه : حمزة أحمد الزين / ١٢ / ٣٤٣
ـ والاستيعاب في معرفة الأصحاب / ٢ / ٦٨١
ـ وتجريد أسماء الصحابة / للذهبي /ج ١ / رقم ٢٦٣١ /ص ٢٥٠
ـ (حسنه) الزين . انظر هامش المسند للإمام أحمد بن حنبل / شرحه ووضع فهارسه : حمزة أحمد الزين / ج١٢ / ص ٣٤٣ ، ط : دار الحديث القاهرة / الطبعة الأولي : ١٩٩٥م
ـ (وضعفه) الأرناؤوط ومن معه .
ـ انظر : هامش المسند للإمام أحمد بن حنبل / تحقيق : شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوس وإبراهيم الزيبق /ج ٢٥ رقم ١٥٨٤٥ /ص ١٧٢ ،١٧٣ / ط : مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى ١٩٩٨م. والصواب أن إسناده (ضعيف) ،ولأنه مرسل ، ولأن أبا نعامة اختلط ولا نعرف تاريخ رواية روح عنه.
(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي /م ٥ ج ١٠ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣
ـ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية / ٩ / ٣٩
ـ وفتح الباري / لابن حجر / ٨ / ٢٤٧
(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور / ج ١٥ /٥٥
(٣) فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن / للشيخ زكريا الأنصاري / تحقيق محمد على الصابوني / ص ٢٣١ .

وهذا يفيد أن الترف وسعة التنعم بالشهوات والملذات المترتب عليه الهلاك للفرد أو للجماعة إنما هو المستتبع للفساد والتكبر والطغيان فلولا أنهم فسقوا وخرجوا عن طاعة ما أمروا به ما فسدوا وما أفسدوا غيرهم من أهل مجتمعهم فكانوا سبباً في الهلاك والدمار .

ثالثاً :(عدم وجود النهي عن الفساد في الأرض ،مع اتباع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) :

جاء في آية سورة هود الثالثة حسب تاريخ النزول ما يقرر ذلك تقريراً أكيداً . ويوضح بجلاء ظاهر أن الترف المطغي المؤدي إلي البغي والفساد هو الذي يترتب عليه العذاب وهو الضار لذات المترف ولمجتمعه .فالله تعالى يقول : ﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأرضِ إلا قَلِيلاً مِّمَّنْ أنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظلمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾ (١)

فقوله تعالى : ﴿ **وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظلمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ** ﴾ بيان للسبب الثاني لنزول عذاب الاستئصال .

فالسبب الأول : أ ــ أنه لم يكن فيهم جماعة ينهون عن الفساد في الأرض .

والسبب الثاني : ب ــ اتباع اللذين ظلموا ما أترفوا فيه .

فقوله : ﴿ **مَا أُتْرِفُوا** ﴾ إما أنه مفعول لقوله : واتبع من غير حذف مضاف وما واقعه على الشهوات وما بطروا بسبب النعم (٢).

أو على حذف مضاف أي جزاء ما أترفوا .

يقول الفخر الرازي : (وأراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات أي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . واتبعوا الشهوات واللذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات)(٣)

(١) سورة هود ، رقمها (١١) : الآية (١١٦)
(٢) التفسير الكبير / للفخر الرازي / ج ١٨ / ص ٧٥ بتصرف .
ــ وتفسير المنار / لمحمد رشيد رضا / ج ١٢ / ١٥٨ .
(٣) المرجعين السابقين .

وفي الألوسي : ﴿ **مَا أُتْرِفُوا فِيهِ** ﴾ ما أنعموا فيه من الثروة والعيش الهنيئ والشهوات الدنيوية ، وأصل الترف : التوسع في النعمة .

وعن الفراء : معنى الترف : عُوِّد الترفة وهي النعمة وقيل : أترفوا : أي طغوا من أترفته النعمة إذا أطغته .ف (فِي) إما سببية أو ظرفية مجازية .

وتعقب بأن هذا المعنى خلاف المشهور وإن صح هنا .

ومعنى اتباع ذلك : الاهتمام به وترك غيره أي اهتموا بذلك (١).

رابعاً : (كفرهم بما جاءت به الرسل الكرام ،وصدهم – بالتالي – عن سبيل الله) :

وتأتي الآيتان من سورة سبأ وهي الرابعة حسب ترتيب النزول لتبين إعلان المترفين عن الأسباب التي دفعتهم إلي الطغيان والتكبر وعدم إنكار المنكر والفساد والإجرام .

فيقول تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾ (٢).

فالآيتان تبينان بياناً ظاهراً أن المترفين الذين أوغلوا وانغمسوا في ماديـاتهم وشـهواتهم ولذائذهـم كان هو السبب في صدهم عن سبيل الله وكفرهم بما جاءت به رسل الله من رسالات الهداية إلي الخير والحق وكان ذلك هو الذي دفعهم إلي إعلان كفرهم ﴿ **إلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ فهذا يدل على مدى تبجحهم وغطرستهم ، دفعهم إلي ذلك ما يعيشون فيه من ألوان النعمة والثروة ورغد العيش .

يقول قتادة : (هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر)(٣).

وهذا ما ترجم عنه قولهم الآخر ﴿ **نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وأَوْلاداً** ﴾ فقد افتخروا بكثرة الأموال والأولاد واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى

(١) انظر روح المعاني / للألوسي م ٦ / ج ١٢ / ص ١٦٢
ــ وصفوة التفاسير / للصابوني / م٢ / ٣٦ / ط ٢
(٢) سورة سبأ ، رقمها (٣٤) : الآيتان (٣٤ ،٣٥)
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم /لابن كثير/ ٣/٥٤٨

لهـم واعتـنائه بهم . ونسى هؤلاء أن المال وكثرته والأولاد وتعددهم قد يكونون شراً . كما يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١)

وكمـا يقـول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ إِنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢)

وكما قال تعالى :﴿ فلا تُعجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣)

والمـتدبر في الآيتين يرى أن الله عز وجل قد كرر القول واسنده إلي المترفين وذلك لتسجيل الغرور والكبر والتبجح على هؤلاء بما هم فيه مـن نعـم وتـرف وهنا سؤال قد أثاره الفخر الرازي وأجاب عنه بجواب حكيم حيث يقول:

(وإنما نسب القول إلي المترفين مع أن غيرهم أيضاً قالوا: ﴿ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٤)لأن الأغنياء المترفين هم الأصل فـي ذلـك القـول ألا تـرى أن الله قال عن اللذين استضعفوا إنهم قالوا للمسـتكبرين : ﴿ لَـوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) فقد استدل هؤلاء المترفون الذين اغتروا بنعمة الله تعالى عليهم على كونهم مصيبين في موقفهم فقالوا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ إمعاناً في الغرور والتكبر أي وما نحن بمعذبين في الآخرة كأنهم قالوا حالنا عاجلاً خير من حالكم أما آجلاً فنحن لا نعذب .

يقـول الفخـر الـرازي ما معناه ((أن هذا منهم إما إنكاراً للعذاب رأسـاً أو اعتقاداً لحسن حالهم في الآخرة أيضاً قياساً على حسن حالهم في الدنيا))(٦) .

وهذا الذي تضمنته الآيتان من سورة سبأ بوضوح تام أن المترفين بسـبب انغماسـهم فـي الشهوات والملذات تبجحوا تبجحاً ظاهراً فأعلنوا

(١) سورة التغابن ، ورقمها (٦٤) : الآية (١٥)
(٢) سورة المؤمنون ، رقمها (٢٣) : الآيتان (٥٥ ، ٥٦) .
(٣) سورة التوبة ، رقمها (٩) : الآية (٥٥)
(٤) الآية المماثلة يقصد الرازي قوله تعالى (قال اللذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون) . سورة الأعراف رقمها ٧ الآية ٧٦ .
– وقوله تعالى (قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباؤكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) سورة الزخرف رقمها ٤٣ الآية ٢٤.
(٥) انظر الآية ٣١ من سورة سبأ
(٦) التفسير الكبير / للفخر الرازي / ج ٢٥ / ٢٦٢

كفـرهم وضلالهم وبعدهم عن الحق بسبب ما يعيشون فيه من سعة النعمة وبهرجة الحياة الدنيا الفانية .

خامسا : (التقليد للآباء والأسلاف) :

يقول تعالى : ﴿ وَكَذَلِـكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (١).

جـاءت الآية الكريمة لبيان أن الحامل والدافع الذي دفع المشركين إلي إنكار رسالة الرسل هو التقليد المحض فهم قد ذهبوا إلي ما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف .

وإنمـا ذكـر الله تعالي هذه المعاني في معرض الذم والتهجين لما علـيه الكفـار المشركون من تقليد واتباع لمن سبقهم من غير إعمال فكر وتنور بعقل .

وبيـن الله عـز وجل في نفس الآية أن الداعي إلي القول بالتقليد والحامل عليه هو حب التنعم في طيبات الدنيا والركون إلي الكسل والبطالة وبغـض تحمـل مشاق النظر والاستدلال فهو سبحانه وتعالى يقـول :﴿ إلا قال مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾

والمـترفون : هـم الذين أترفتهم النعمة أي أبطرتهم وأطغتهم فلا يحـبون إلا الشهوات والملذات والملاهي الأمر الذي أهبطهم إلي الدركات السـفلى من التسفل والانحدار إلي مهاوي الضلال والبعد عن الارتفاع إلي مقامـات الفضائل وهذا الأمر أدى بهم إلي كراهية تحمل المشاق في طلب الحـق والجهـاد والاجتهاد في طلب التسامي إلي الآفاق السامية التي تليق بالإنسان العاقل .

واكـتفوا بقولهـم معلنيـن عن كسلهم وانغماسهم في براثن الجبن والخـور والانحطـاط : ﴿ إِنَّـا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾

(والأمَّـة) هنا هي الطريقة التي تؤم أي تقصد والحالة التي يكون عليها الأم وهو القاصد .(٢)

(١) سورة الزخرف ، رقمها (٤٣) : الآية (٢٣)
(٢) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / للبقاعي / ٤١١/١٧، ٤١٢
– وفتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق بن حسن القنوجي البخاري /٣٦٨/٧

وإسناد هذا القول إلي المترفين وتخصيصه بتلك المقالة للإيذان والإعلام بأن التنعم وحب البطالة والتقاعس عن النشاط والجد والركون إلي الكسل هو الذي صرفهم عن النظر السديد والفكر الصائب وأقعدهم عن النشاط المنتج المثمر (١).

والمقصود من الآية الكريمة بيان أن هذه عادة أهل الضلال السابقين واللاحقين على اختلاف الأماكن والأزمان.

وأنهم جميعاً قد استووا وتوافقوا على النظر القاصر المخطئ كما قال تعالى : ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٢)

أي بل هم اشتركوا في سببه الباعث عليه وهو الطغيان والفساد والانحدار إلي الرذيلة والضلال .

سادساً : (طغيان الكبر والعجب بأنفسهم عليهم) :

آيات سورة الأنبياء وهي السورة الخامسة التي ذكر فيها الترف حسب ترتيب النزول وهي قوله تعالى : ﴿ **وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ . لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ** ﴾ (٣) تبين ذلك جيداً

فبعد أن ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة لهذه الآيات الاعتراضات التي تبجح بها المشركون على عدم إيمانهم .

وهو استحالة كون الرسول بشراً . وأن القرآن أضغاث أحلام . وأن الرسول افترى القرآن من عند نفسه . وأن الرسول شاعر (٤).

وأتبع ذلك ببيان أن تلك الاعتراضات والأكاذيب ظاهرة البطلان (٥).

---

(١) انظر تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل /١٨٨/٦ بتصرف

(٢) سورة الذاريات ، رقمها (٥١) : الآية (٥٣)

(٣) سورة الأنبياء ، رقمها (٢١) : الآيات (١١ –١٥)

(٤) اقرأ الآيات في سورة الأنبياء من الآية رقم ٧ إلي الآية ١٠ .

(٥) اقرأ الآيات في سورة الأنبياء من الآية رقم ٧ إلي الآية ١٠ .

وأتبع كل ذلك ببيان أن اشتغالهم بإيراد تلك الاعتراضات وافتراءهم لهذه الأكاذيب والشبهات والواهية كان بسبب شغفهم بحب الدنيا واستيلاء حب الرياسة عليهم.

فطغى عليهم الكبر والعجب بأنفسهم حتى أنساهم المنعم الحقيقي وبذلك استحقوا العذاب والقصم المفرق للأجزاء والهلاك المدمر عقاباً على تكبرهم وعجبهم بما هم عليه من فساد في استعمال النعم التي أنعم الله تعالي بها عليهم .

فلما أحسوا ببأس الله تعالى وغضبه وانتقامه هربوا مسرعين فيقال لهم حينئذ : ﴿ **لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ** ﴾

وهذا القول يقال عليهم – والله أعلم – على سبيل التعجيز والاستهزاء والسخرية.

لتأنيبهم على الأمر الذي حملهم على الكبر والعجب والطغيان والفساد يقول ابن كثير : (هذا تهكم بهم نزراً أي قيل لهم نزراً (١) لا تركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا إلي ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة .

قال قتادة : استهزاء بهم .

﴿ **لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ** ﴾ عما كنتم فيه من أداء شكر النعم . (٢)

وبهذا يتبين للمتدبر أن الله عز وجل قد ربط ما حل بالمشركين والكفار من هلاك وعقاب بما كانوا عليه من كبر وطغيان وفساد وعتو سببه التوسع في التنعم والإنقماس في الترف وطيب العيش .

---

(١) نزراً : أي قليلاً تافهاً بطيئاً .
– انظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية مادة (نزر) ج ٢ / ص ٩٥٠ ط ٣
– ولسان العرب / لابن منظور / ٢٠٣/٥

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم / لابن كثير /١٧٤/٣/ط/دار المعرفة ، بيروت.

سابعاً : (كفرهم وتكذيبهم للرسل ورفضهم أن يكونوا تابعين) :

آيــة ســورة المؤمــنون وهي السورة السادسة التي جاء فيها ذكر الترف حسب ترتيب النزول ، تبين ذلك بوضوح .

يقــول تعــالى : ﴿ **وَقَالَ الملأ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إلا بَشَرٌ مِثْلُكُم يَأكُلُ مِمَّا تَأكُلُونَ منهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ** ﴾ (١)

أكثر المفسرين على أن هذه الآية الكريمة وما قبلها(٢)وما بعدها (٣) في قصة عاد قوم هود .

واحــتجوا علــى ذلــك بحكايــة الله تعالى قول هود عليه السلام ﴿ **وَذَكَرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ** ﴾ (٤)

ومجيء قصة هود عقب قصة نوح في سورة الأعراف(٥)

وسورة هود(٦) وسورة الشعراء.(٧)

وقــال بعضهم : المراد بهم ثمود قوم صالح عليه السلام لأن قومه الذين كذبوه هم الذين هلكوا بالصيحة(٨) .

والــذي يهمــنا في معالجة موضوعنا هو مضمون الآية التي فيها بــيان لكون الترف وزيادة التشبع بالشهوات والملذات هو من أهم الأسباب التــي أدت وأوصــت هــؤلاء القوم أياً كانوا إلى دركات التسفل والكذب والبهتان .

---

(١) سورة المؤمنون ، رقمها (٢٣) : الآية (٣٣)
(٢) الآيتان (٣١ ،٣٢)
(٣) الآيات (٣٤-٤١)
(٤) سورة الأعراف ، رقمها (٧ظ) : الآية (٦٩)
(٥) الآيات في سورة الأعراف (٦٥-٧٢)
(٦) الآيات من سورة هود (٥٠-٦٠)
(٧) سورة الشعراء ، رقمها (٢٦) ، الآيات (١٢٣-١٤٠).
(٨) انظر : التفسير الكبير / للفخر الرازي / ٩٧/٢٣ .
- وتفسير روح المعاني / للألوسي / م٩ /ج١٨ / ص٢٨ .
- وتفسير القرآن العظيم / لابن كثير /٢٤٥/٣ .

فــالله ســبحانه وتعالى قد حكى من صفاتهم ثلاث صفات هي شر الصفات وأخبثها وهي :

١ - الكفر بالخالق سبحانه وهو المراد بقوله عز وجل : ﴿ **كفروا** ﴾ .
٢ - الكفر بيوم القيامة وهو المراد بقوله : ﴿ **وكذبوا بلقاء الآخرة** ﴾ .
٣ - الانغمــاس في حب الدنيا وشهواتها وهو المراد من قوله ﴿ **وأترفناهم في الحياة الدنيا** ﴾ أي نعمناهم ووسعنا عليهم فيها .

وهــذه الصــفات الثلاث هي الباعث لهم والمؤدي بهم إلى تكذيب رســولهم ولعــل الوصف بقوله : ﴿ وأترفناهم في الحياة الدنيا ﴾ هو السبب الرئيســي في تكذيبهم وطغيانهم وتمردهم حيث ألحق به قوله تعالى : ﴿ **ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون** ﴾ .

فكــبرهم وصــلفهم الناتج من كثرة ثروتهم وسعة تنعمهم هو الذي أغــراهم إلــى أن يكذبوا الرسول وعدم قبول ما يدعوهم إليه طمعاً في أن يكونــوا ســادة لا تابعين . ويماثل ذلك قوله تعالى : ﴿ **وذرنــي والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً** ﴾ (١) .

فــأولوا الــنعمة (بفــتح النون : التنعم وبكسرها الإنعام وبالضم المســرة)(٢) . وكــل هذه المعاني من مظاهر الرغد بالعيش والزيادة في الملذات والشهوات الملهية عن عمل الحق والخير .

والنعمة هنا بفتح النون باتفاق القراء وهي اسم للترفه وجمعها أنعم بفتح الهمزة وضم العين .

ووصفهم بأولي النعمة توبيخاً لهم بأنهم كذبوا لغرورهم وبطرحهم لسعة حالهم.

وتهديــداً لهم بأن الذي قال : ﴿ وذرني والمكذبين ﴾ سيزيل عنهم ذلك التنعم .

وفــي هذا الوصف تعريض بالتهكم لأنهم كانوا يعدون سعة العيش ووفرة المال كمالاً .

---

(١) سورة المزمل ، رقمها (٧٣) ، الآية (١١) .
(٢) التفسير الكبير / للفخر الرازي / ١٨٠/٣٠ .
- والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لابن عطية / تحقيق وتعليق السيد عبد العال السيد إبراهيم ، ج١٥ / ١٦٢ .
- ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور / للبقاعي /١٩/٢١/ الطبعة الأولى .

وكـانوا يعـيرون الذين آمنوا بالخصاصة قال تعالى : ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكيهين . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون** ﴾ (١) .

ولذلك ذكرهم الله تعالى في سورة بقوله : ﴿ **واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين** ﴾(٢).

فهـم تـركوا الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ركن من أركـان الدين واشتغلوا بشهواتهم فصاروا مجرمين متلبسين بالإجرام الذي ولده الترف فصار هو المسفه لعقولهم .

وجعلهم من ذوي النعمة – بفتح النون – وهي الترفه للإشارة إلى أن جـل همهـم وغاية عظمهم في هذه الحياة الدنيا هي التشبع في اللذائذ والشهوات بلا حد .

والتمـتع بالبيوت وما يزينها من زينة بلا ضيق والإقبال بنهم على المآكل والمشروبات ولذائذ الانبساط إلى النساء والخمر والميسر بلا توقف ، وهـذا مـا يجعلهم معرضون ناكفون عن كمالات النفس وراحة الاهتداء وصدق المعرفة .

ولذلـك وصـمهم وأعلن عن انحطاط درجتهم حتى أوصلهم إلى دركـات الأنعـام العجمـاوات التي لا تعي ولا تعقل فقال تعالى في شأن هـؤلاء وأمثالهم : ﴿ **أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً** ﴾ (٣)).(٤)

---

(١) سورة المطففين ، رقمها (٨٣) ، الآيات (٢٩-٣٢) .
(٢) سورة هود ، رقمها (١١) ، الآية (١١٦) .
(٣) سورة الفرقان ، رقمها (٢٥) ، والآية (٤٤) .
(٤) انظر تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور / ٢٧٠/٢٩ .
– وتفسير البحر المحيط / لأبي حيان / ٣٦٤/٨ط٢ .
– فتح البيان في مقاصد القرآن / للقنوجي البخاري / ٢٧٠/٦-٢٧١ .

مجمل صفات المترفين

مـن هـذا البيان الذي أوضحته الآيات الكريمة للصفات والدافعة للمترفيـن إلـى مـا صـاروا إليه من ضلال مضل وفساد مفسد وطغيان مـتجاوز الحـدود نخـرج بمحصلة نوجز فيها ذكر المترفين وأوصافهم وخصـالهم والأسـباب التـي أوصلتهم إلى هذا الوضع الشائن وإلى هذا الموطـن الـردئ وهـذا العقاب المؤلم الشديد . ويمكننا إجمال وتلخيص صفاتهم في الأمور التالية:

أولاً : انغماسـهم الـتام في الشهوات والملذات إلى درجة أنهم صاروا لا يهتمون بدعوة الحق ونداء الخير .

ثانـياً : إصـرارهم المستمر الدائم على الكفر والشرك وما يتبعها ويتفرع عنهما ويصحبهما من آثام ومعاصي ورذائل .

ثالثاً : إنكارهم للبعث والجزاء بناء على زعمهم الباطل باستحالة ذلك على قدرة الله تعالى التي لا يعجزها شيء ونسوا أنه عز وجل هو الذي خلقهـم أول مـرة . ﴿ **قل يحييها الذي أنشها أول مرة وهو بكل شيء عليم** ﴾(١) .

رابعاً : أن فسقهم وفجورهم وتجبرهم وطغيانهم وصفاتهم الذميمة وأخلاقهم السيئة وسلوكهم المعوج يكون سبباً مؤدياً إلى فسق وفجور وطغيان وفسـاد غيرهم من أهلهم وأتباعهم وأفراد مجتمعهم . فهم ضالون في أنفسهم مضلون لغيرهم .
وهذا ما جعل عقابهم مضاعفاً وعذابهم أشد وأفظع كما يقول تعالى :

﴿ **وليحملـن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾ (٢) .

خامسـاً : أن الترف والانغماس في الملذات والشهوات طغى على عقولهم فعطلهـا ، وعلى أفكارهم فطمسها ، وعلى بصائرهم وأبصارهم فأعماها .
فصـاروا يتبعون غيرهم من غير نظر ولا فكر ولا تعقل يقلدون أسـلافهم تقلـيداً يدل على الانحطاط والتسفل . والآيات الكريمة

---

(١) سورة يس ، رقمها (٣٦) ، الآية (٧٩) .
(٢) سورة العنكبوت ، رقمها (٢٩) ، الآية (١٣) .

تبيـــن أن السبب الرئيسي الذي حملهم على هذا التقليد الأعمى هو الانغمـــاس والتوســـع فـــي الـــترف والتنعم والركون إلى الكسل والبطالة .

سادســـاً : جمـــيع هذه الأوصاف التي وصمتهم بها الآيات الكريمة جعلتهم يعرضـــون ســـماع دعوات الرسل وما تتضمنه من إنذار ووعيد وتخويف وأدت بهم إلى النكوص عن سلوك سبيل الحق والخير .

ودفعتهم إلى افتراء الأكاذيب واختلاق الشبهات التي يحاولون بها الصـــد عـــن سبيل الله تعالى وإبطال دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ورمي وحي الله عز وجل بالافتراء والكذب وكونه سحراً وأساطير الأولين ، أنه أضغاث أحلام .

لكـــل هـــذا اســـتحقوا ما أوعدهم الله تعالى به من العقاب الشديد والإنـــذار المرعـــب والعـــذاب المؤلـــم الذي أفصحت عنه الآيات والذي تستوضـــحه فـــي المبحث التالي بحسن توفيق الله تعالى وجمال عونه عز وجل .

المبحث الرابع
بيان ألوان وعيد المترفين في الدنيا والآخرة

لقد تضمنت الآيات القرآنية الكريمة التي ذكر فيها الترف والمترفون ألواناً وأصنافاً وأنواعاً من العذاب وصنوف العقاب الذي أعده الله تعالى للمترفين الطاغين الباغين .

١ – ففي سورة الواقعة :

جعل الله تعالى المترفين من أصحاب الشمال المنذرين بالعذاب والنكال وأوعدهم بألوان من العذاب المهلك القاتل فيقول تعالى : ﴿ **في سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم** ﴾ (١).

فالـــ ﴿ **سموم** ﴾ هي الريح الحارة التي تهب فتمرض وتقتل من يستنشقها يقول الإمام الفخر الرازي : (والأولى أن يقال : هي هواء متعفن ، يتحرك من جانب إلى جانب ، فإذا استنشق الإنسان منه يسبب العفونة ويقتل الإنسان ، واصله من السم كسم الحية والعقرب وغيرهما)(٢) .

والـــ ﴿ **حميم** ﴾ هو الماء الحار شديد الحرارة فهو فعيل بمعنى فاعل من حمم الماء بكسر الميم الأولى .

أو بمعنى مفعول من حم الماء إذا سخنه .(٣)

يقول الفخر الرازي وههنا لطيفة : (وهي أن فعولاً لما تكرر منه الشيء والريح لما كانت كثيرة الهبوب تهب شيئاً بعد شيء خص السموم بالفعول ، والماء الحار لما كان لا يفهم منه الورود شيئاً بعد شيء لم يقل فيه حموم)(٤) .

والـــ " يحمـــوم " : اســـم من أسماء جهنم أو الدخان أو الظلمة واصـــله من الحمم وهو الفحم الأسود فكأنه لسواده تفحم فسموه باسم مشتق منه وزيادة الحرف فيه – الياء – لزيادة ذلك المعنى فيه .

وربما تكون الزيادة فيه جاءت لمعنيين :

الزيادة في سواده .

---

(١) سورة الواقعة ، رقمها (٥٦) : الآيات (٤٢–٤٤) .
(٢) التفسير الكبير / للفخر الرازي / جـ ٢٩ / ١٦٨ .
(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور / ٣٠٤/٢٧ .
(٤) التفسير الكبير / للفخر الرازي / جـ ٢٩ / ١٦٨ .

والزيادة في حرارته .

وفي الأمور الثلاثة : ﴿ **في سموم وحميم . وظل من يحموم** ﴾ إشارة واضحة إلى كونهم في العذاب دائماً . لأنهم إن تعرضوا لمهب الهواء أصابهم الهواء السام القاتل وإن حاولوا دفع الأذى عن أنفسهم فاستكنوا واستخفوا في الكن يكونون في ظل من يحموم لا يصد ما يصبهم من حرارة الهواء ولا يكون نافعاً لهم .

﴿ **لا بارد ولا كريم** ﴾ : أي لا بارد يطلب لبرده ، ولا ذي كرامة ومنفعة قد أعد للجلوس فيه .

فالعذاب يحيط بهم من كل جانب .

وقيل : يحتمل أن يقال : فيه ترتيب وهو أن السموم يضر به فيعطش وتلتهب نار السموم في أحشائه فيشرب الماء فيقطع أمعائه .

ويريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل ظل اليحموم .[١]

وهذا اللون من العذاب مناسب لمترفين الذين ألهتهم النعم ورغد العيش عن الحق والخير وكان من مظاهر ترفهم ومن إمارات لهوهم ولعبهم وباطلهم الاسترواح بالظل الظليل النافع وشرب الماء العذب السلسبيل والتمتع بالسكن المريح فأطغاهم ذلك وشغلهم عن سبل الصلاح فكان عذابهم الذي أعده الله لهم في الآخرة من جنس نعمهم وملذاتهم التي شغلتهم إلى سلوك سبل الغواية والضلال والفساد والبغي والعدوان .

يقول سيد قطب : (فلئن كان أصحاب اليمين في " ظل ممدود ، وماء مسكوب .. فأصحاب الشمال " في سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم " .. .

فالهواء شواظ ساخن ينفذ إلى المسام ويشوي الأجسام ، والماء متناه في الحرارة لا يبرد ولا يروي .

وهناك ظل ولكنه (ظل من يحموم) .. ظل الدخان اللافح الخانق إنه ظل للسخرية والتهكم . ظل (لا بارد ولا كريم) فهو ظل ساخن لا روح فيه ولا برد وهو كذلك كز لا يمنح رواده راحة ولا إنعاشاً .. هذا الشظف كله جزاء وفاقاً : ﴿ **إنهم كانوا قبل ذلك مترفين** ﴾[٢] وما آلم الشظف للمترفين .)[٣]

(١) انظر التفسير الكبير / للفخر الرزاي / جـ٢٩ / ١٦٨ ، ١٦٩ .
(٢) سورة الواقعة ، رقمها (٥٦) ، الآية (٤٥) .
(٣) في ظلال القرآن / للشيخ سيد قطب /٦/٣٤٦٥/ط ٩ .

٢ – **وفي سورة الإسراء :**

أوعد الله عز وجل المترفين بالهلاك وعذاب الاستئصال فهو سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً** ﴾[١] فهذه الآية الكريمة كالتفسير لقوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾[٢]

وقوله تعالى : ﴿ **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً** ﴾[٣]

وقوله تعالى : ﴿ **ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون** ﴾[٤]

فلما بين الله تعالى في تلك الآيات أنه لا يهلك قرية إلا بعد أن يخالفوا أمر الله تعالى .

ذكر في آية سورة الإسراء التي معنا أن من سنته عز وجل في شئون خلقه أنه يأمرهم أولاً فإذا خالفوا الأمر وخرجوا عن طاعة الله تعالى : ﴿ **فحق عليها القول** ﴾ أي استوجبوا الإهلاك المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿ **فدمرناها تدميراً** ﴾ أي أهلكناها إهلاك الاستئصال والدمار والهلاك على سبيل الاستئصال[٥] .

وسبب ذلك فسق أهل الترف وفجورهم وعصيانهم فلما أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم وعصوا أمر ربهم وكانوا قادة في الضلال والإضلال وتقلدهم الأتباع والرعية كان عقاب الجميع الهلاك والاستئصال.

٣ – وهذا ما تبينه وتفسره آية سورة هود : حيث يقول تعالى : ﴿ **واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** ﴾[٦]

(١) سورة الإسراء ، رقمها (١٧) ، الآية (١٦) .
(٢) سورة الإسراء ، رقمها (١٧) ، الآية (١٥) .
(٣) سورة القصص ، رقمها (٢٨) ، الآية (٥٩) .
(٤) سورة الأنعام ، رقمها (٦) ، الآية (١٣١) .
(٥) انظر التفسير الكبير / للفخر الرازي / ج٢٠/١٧٥ .
(٦) سورة هود ، رقمها (١١) ، الآيتان (١١٦ ، ١١٧) .

أي فلما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من أركان الدين العظيمة واتبعوا الشهوات والملذات واشتغلوا بتحصيل الرياسات وخلدوا إلى التنعم وما هم عليه من الثروة والغنى والعيش الهنيء وتلبسوا بالجرائم والمعاصي التي ولدها الترف المسخر لعقولهم أهلكهم الله عز وجل ودمرهم تدميراً لا قيام لهم بعده . وهذا من صنوف عذاب الدنيا فقوله : ﴿ **وكانوا مجرمين** ﴾ أي في اتباع الترف فلمة يكونوا شاكرين وذلك يحقق معنى الاتباع لأن الأخذ بالترف مع الشكر لا يطلق عليه أنه اتباع ... وفي الكلام إيجاز حذف . والتقدير : فحق عليهم هلاك المجرمين ، وبذلك تهيأ المقام لقوله بعده : ﴿ **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** ﴾[١]

٤ – **وتبين آيات سورة الزخرف** : أن تمسك المترفون بطريقة التقليد الأعمى حملهم على الصد عن سبيل الله عز وجل وسيرهم على منهج أسلافهم المعوج البعيد عن الحق والصواب وكان سبباً في انتقام الله عز وجل فكان عقابهم الانتقام : ﴿ **فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ [٢]

أي فانتقم الله عز وجل بقدرته من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب المفصلة والموضحة في قصص المترفين فانظر نظر تعجب كيف بادوا وهلكوا .[٣]

٥ – **وهذا ما توضحه بجلاء آيات سورة الأنبياء** : فالله تعالى يقول : ﴿ **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين . فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون . لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون . قالوا ياويلنا إنا كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين** ﴾ [٤]

(١) راجع تفسير التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور /١٨٥/١٢ ، ١٨٦ .
(٢) سورة الزخرف ، رقمها (٤٣) ، الآية (٢٥) .
(٣) راجع تفسير القرآن العظيم / لأبن كثير / ١٢٦/٤/ ط. دار المعرفة ، بيروت .
(٤) سورة الأنبياء ، رقمها (٢١) ، الآيات (١١-١٥) .

ففي هذه الآيات بيان مفصل لكيفية إهلاكهم وتنبيه على كثرة المترفين . فكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على أنها مفعول لقصمنا و (من قرية) تمييز .[١]

وفي لفظ (القصم) الذي هو عبارة عن الكسر بتفريق الأجزاء وإذهاب التئامها بالكلية كما يشعر به الإتيان بالقاف الشديدة من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى[٢] .

فكان عقابهم على استمرار ظلمهم عادتهم وديدنهم حتى حصدناهم حصداً وخمدت حركاتهم وأصواتهم خموداً أبدياً .

يقول الإمام الفخر الرازي : (أما قوله : ﴿ **حتى جعلناهم حصيدا خامدين** ﴾ فالحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم كما تقول : جعلناهم رماداً أي مثل الرماد .

فإن قيل : كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل : قلت : حكم الاثنين الأخيرين حكم الواحد.

والمعنى : جعلناهم جامعين لهذين الوصفين .

والمراد : أنهم أهلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار)[٣] .

٦ – **وفي سورة المؤمنين** : يبين الله تعالى حالة الهول والفزع والاضطراب والنكد التي تصيب المترفين عندما يقع العذاب عليهم فيقول تعالى : ﴿ **حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجارون** ﴾ [٤]

فترسم الآية الكريمة مشهد انتباهم ويقظتهم للكارثة الداهمة التي فاجأتهم وباغتتهم بالعذاب يعني إذا جاء العذاب للمترفين المستغرقين في المتاع الدنيوي استغراقاً جعلهم يذهلون عن الطريق السوي والمنهج الحق المستقيم أخذوا يصرخون ويستغيثون ويرفعون أصواتهم بالجوار مستغيثين مسترحمين .

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور / ٢٥/٢٤/١٧ والكشاف / الزمخشري / ٥٦٤/٥
(٢) المرجعين السابقين .
(٣) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/ ١٤٧/٢٢/ والكشاف للزمخشري / ٥٦٥/٢
(٤) سورة المؤمنون ، رقمها (٢٣) ، الآية (٦٤)

فيقال لهم على وجه التبكيت والتهكم والاستهزاء والزجر والتيئيس : ﴿ **لا تجاروا اليوم إنكم منا لا تنصرون** ﴾ (١)

أي لا يجيركم أحد مما حل بكم سواء جأرتم أو سكتم لا محيد ولا مناص ولا وزر لزم الأمر ووجب العذاب .

كما قال تعالى في صورة ص : ﴿ **كم أهلكنا قبلكم من قرن فنادوا ولات حين مناص** ﴾ (٢)

ونخلص من مجموع بيان الآيات الكريمة إلى أن عقاب المترفين المتكبرين الباغين المسرفين على أنفسهم في التوسع في التنعم والتشبع من الملذات والشهوات يتمثل في الأمور التالية :

١- استنشاق الهواء الحار الفاسد القاتل .

٢- الارتواء بالماء الذي تناهت شدة حرارته حتى صار مقطعا للأمعاء .

٣- الاستظلال بظل الدخان اللافح الخانق شديد الضرر .

٤- الهلاك والتدمير المستأصل للمترفين يجعلهم استئصالاً مثل الزرع الجاف الذي لا حراك به .

٥- الهلع والفزع والصراخ من شدة ما ينزل بهم ويقع عليهم من العقاب فهم حينئذ يستغيثون ويطلبون الرحمة والنجاة مما هم فيه من الوبال والنكال فلا يغاثون ولا يرحمون .

بل يوجه إليهم عندئذ الزجر والتبكيت والتيئيس زيادة في عقابهم وإذلالاً لهم وامتهاناً وإمعاناً في عقابهم وعذابهم جزاءً وفاقاً على طغيانهم وفسادهم الذي أداهم إليه ترفهم واستغراقهم في الملذات والشهوات .

ومن الظاهر الواضح أن هذه الصنوف من العذاب منها ما يكون في الدنيا وهو الأكثر والأغلب ، ومنها ما يكون في الآخرة وهو الأشد والأصعب .

---

(١) سورة المؤمنون ، رقمها (٢٣) ، الآية (٦٥)

(٢) سورة ص ، رقمها (٣٨) ، الآية (٣)

المبحث الخامس
بيان أمثلة من قصص القرآن الكريم للمترفين وما نزل بهم من عذاب وهلاك

بعد هذا البيان لشأن المترفين وألوان عقابهم في الآيات القرآنية التي جاء ذكرهم فيها أحب أن أسوق بعض الأمثلة من قصص القرآن الكريم لإبراز ما حل بالمترفين من نكال ووبال عقاباً على تكبرهم وطغيانهم بسبب الترف والتوسع في التشبع بالملذات والشهوات .

ومن المعلوم أن قصص القرآن الكريم مملوءة بأمثلة من ذلك .

ولكني سأقتصر على ثلاثة أمثلة منها تعتبر في نظري أمثلة واضحة صريحة في كون ما نزل بهم من عقاب كان بسبب الكبر والطغيان الناتج عن الترف وسعة التنعم والتشبع بالملذات والشهوات .

وهي : ١- عاد قوم هود عليه السلام .

٢- صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف .

٣- قارون الذي خسف الله تعالى به وبداره الأرض .

أولا : عاد قوم هود عليه السلام وما نزل بهم من عقاب :

قد جاء ذكر (عاد) في القرآن الكريم أربع وعشرون مرة في تسع عشرة سورة .(١)

وهي قبيلة من العرب العاربة الذين كانوا قبل إسماعيل عليه الصلاة والسلام .

وهم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان .

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي / ٤٩٣

- ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية / محمد إسماعيل إبراهيم / ٣٦٢

وكانت أصنامهم ثلاثة : صمداً ، وصموداً ، وهراً .[١] نشأوا في موطنهم ما بين عمان وحضر موت ، وأسسوا أقدم مدينة عرفها التاريخ وبنوا القصور والصروح الشامخة[٢].

فبعث الله تعالى فيهم أخاهم هوداً عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى الله عز وجل والإيمان به وتوحيده وعبادته يقول تعالى : ﴿ **وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون** ﴾ [٣].

فرفضوا دعوته وصدوا عن سبيله وأغراهم ما هم عليه من نعمة ورفاهية وسعة المال ومتاع الدنيا .

يقول تعالى : ﴿ **وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون** ﴾ [٤]

فأخذ هود عليه الصلاة والسلام يبطل مزاعمهم الباطلة ويسوق لهم دلائل الحق .

وكان مما قال لهم ووعظهم به :

﴿ **ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله رب العالمين . أتبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون . وإذا بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين . وجنات وعيون . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين . وما نحن بمعذبين . فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ [٥]

فلم يستمعوا لمواعظ رسولهم ولم يذعنوا لهم وجادلوه بالباطل ، وبلغ بهم التعنت والكبر والطغيان إلى أن قالوا له : ﴿ **أجئتنا لنعبد الله**

(١) قصص الأنبياء / لابن كثير / تحقيق د. عبد الحي الفرماوي / ١٢٦
(٢) انظر معجم الألفاظ والأعلام القرآنية / محمد إسماعيل إبراهيم / ٣٦٢ - ٣٦٣
(٣) سورة الأعراف ، رقمها (٧) ، الآية (٦٥)
(٤) سورة المؤمنون ، رقمها (٢٣) ، الآية (٣٣) .
(٥) سورة الشعراء ، رقمها (٢٦) ، الآيات (١٢٤-١٤٠) .

وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾ [١]

وقالوا له : ﴿ **قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين** ﴾ [٢] فحق عليهم العذاب والعقاب .

فأصابهم :

١- رجس الله تعالى وغضبه[٣] .

٢- ﴿ **واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة** ﴾ [٤]

٣- ﴿ **فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاءً فبعداً للقوم الظالمين** ﴾ [٥]

٤- ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون** ﴾ [٦]

﴿ **إنا أرسلنا ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر** ﴾ [٧]

وقد ذكر الله عز وجل صور إهلاكهم في كثير من الآيات . وأما تفصيل إهلاكهم فقد بينه الله تعالى بقوله : ﴿ **فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين** ﴾ [٨]

ومضمون ذلك أن عاداً لما رأوا هذا العارض وهو الناشئ في الجو كالسحاب ظنوه سحاب ممطر فإذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة فإذا هو نقمة رجوا فيه الخير فنالوا منه الشر .

(١) سورة الأعراف ، رقمها (٧) ، الآية (٧٠)
(٢) سورة الشعراء ، رقمها (٢٦) ، الآية (١٣٦)
(٣) اقرأ الآية (٧١) من سورة الأعراف .
(٤) سورة هود ، رقمها (١١) ، الآية (٦٠) .
(٥) سورة المؤمنون ، رقمها (٢٣) ، الآية (٦٠) .
(٦) سورة فصلت ، رقمها (٤١) ، الآية (١٦) .
(٧) سورة القمر ، رقمها (٥٤) ، الآية (١٩) .
(٨) سورة الأحقاف ، رقمها (٤٦) ، الآيتان (٢٤ ، ٢٥) .

يقـول ابـن كثير : (ويحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب ، التي استمرت عليهم سبع ليال بأيامها الثمانية فلم تبق منهم أحداً ، بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهـوف الجبال والغيران فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم ، وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة .

فكما منوا بشدتهم وبقوتهم وقالوا : ﴿ **من أشد منا قوة** ﴾ [١] سـلط الله عليهم ما هو أشد منهم قوة ، وأقدر عليهم ، وهو الريح العقيم)[٢] .

وهكـذا تكون عاقبة التكبر والطغيان والتجبر والفساد بسبب كثرة الـنعم والاسـتغراق فـي الترف والتوسع في الملذات والشهوات من غير ضابط من دين أو خلق .

ثانيا : صاحب الجنتين وما نزل به من عقاب مدمر :

فـي سورة الكهف يقول تعالى : ﴿ **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لإحداهمـا جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ، كلتا الجنتيـن أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ، وكان له ثمـر فقـال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ودخل جنـته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا** ﴾ [٣] .

فقد اغتر هذا الكافر الظالم بما رأى في جنتيه من الزروع والثمار والأشـجار والأنهـار المطردة في جوانبها وأرجائها فأداه اغتراره وعجبه إلى الظن بأنها لا تفنى ولا تزول ولا تهلك ولا تتلف .

وذلك لقلة عقله وكفره بالله عز وجل وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة .

وهـذا مـا جعله يتفاخر ويتطاول على أخيه المؤمن الصالح الذي أخذ ينصحه ويعظه.

---

(١) سورة فصلت ، رقمها (٤١) ، الآية (١٥) .
(٢) انظر قصص الأنبياء / لابن كثير / تحقيق الدكتور عبد الحي الفرماوي / ١٤١
(٣) سورة الكهف ، رقمها (١٨) ، الآيات (٣٢-٣٦) .

فكان عاقبة هذا الكافر الجاحد المغتر بالنعمة وسعة العيش من غير تذكر للمنعم والمعطي وهو الله عز وجل .

كانـت عاقبـته مـا ذكره الله تعالى بقوله : ﴿ **وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشـرك بربـي أحـداً ، ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً** ﴾ [١]

والمتأمل في قصة هذا الكافر يجد أن عقاب غروره وتكبره يتركز في المشاهد الآتية:

١- هـلاك ماله كله وسلب أمواله جميعها بأن أرسل الله عز وجل علـى الجـنة والـزروع والـثمار هلاكاً وحسباناً من السماء فأصـبحت جـناته ﴿ **صعيداً زلقاً** ﴾ [٢] أي أرضاً مستوية لا شجر فيها .[٣] ﴿ **وأحيط بثمره** ﴾ .

٢- شدة الندامة والتحسر لما أصاب جنته من هدم وسقوط جدرانها وسقوفها على أشجارها حتى هلكت عن آخرها وزالت جميعها ﴿ **فأصبح يقلب كفيه على أنفق فيها** ﴾

٣- لـم يجـد أحداً ينصره ويقدر على إنجائه مما وقع عليه نكال وعـذاب وهـلاك مـن دون الله عز وجل ﴿ **ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً** ﴾

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور : (وأحاط به هذا العذاب لا لمجرد الكفـر ، لأن الله قـد يمـتع كافريـن كثيريـن طـول حياتهم ويملي لهم ويسـتدرجهم ، وإنما أحاط به هذا العقاب جزاء على طغيانه وجعله ثروته

---

(١) سورة الكهف ، رقمها (١٨٩ ، الآيتان (٤٢ ، ٤٣) .
(٢) سورة الكهف ، رقمها (١٨) ، الآية (٤٠) .
(٣) روح المعاني / للألوسي /٢٨١/٨
- وتفسير البحر المحيط / لأبي حيان الأندلسي / ج٦/ص٩٩ .
- وفتح البيان في مقاصد القرآن / الفنجوي البخاري/٥٥/٨ .
- وتفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور /٣٢٥/١٥ .
- وتفسير الخازن/١٨٦/٣ .
- انظر المفردات في غريب القرآن/للراغب الأصبهاني/ص٣١٤ .
- ولسان العرب /لابن منظور/١٤٤/١٠/ دار صادر / بيروت .

ومالـــه وسيلة إلى احتقار المؤمن الفقير ، فإنه لما اعتز بتلك النعم وتوسل بها إلى التكذيب بوعد الله استحق عقاب الله بسلب تلك النعم عنه .

كمـــا سلبت النعمة عن قارون حين قال : ﴿ **إنما أتيته على علم عندي** ﴾ [١][٢]

ثالثا : قارون الذي خسف الله به وبداره الأرض :

قـــد ذكـــر الله تعالى اسم قارون في أربع آيات في ثلاث سور من القرآن الكريم .

فذكره في سورة القصص ، وسورة العنكبوت ، وسورة غافر .[٣]

ففـــي ســـورة العنكـــبوت ، في قوله تعالى : ﴿ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا وما كانوا سابقين ﴾ [٤]

وفـــي ســـورة غافر في قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ٠ إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ﴾ [٥]

وكانـــت آيـــات سورة القصص هي التي تضمنت كل جوانب قصة قـــارون وأحاطـــت بكثـــير من شئونه في بغيه وفرحه بماله وعجبه بنفسه وفساده وعاقبة أمره .

يقول تعالى في سورة القصص : ﴿ **إن قارون كان من قوم موسى فـــبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قـــال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ٠ وابتغ فيما آتاك الله الـــدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا**

---

(١) سورة القصص ، رقمها (٢٨) ، الآية (٧٨)
(٢) تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور / ج١٥ / ٣٢٨
(٣) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي / ٥٤٣
– ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية / محمد إسماعيل إبراهيم / ٤٢٤
(٤) سورة العنكبوت ، رقمها (٤٠) ، الآية (٣٩)
(٥) سورة غافر ، رقمها (٤٠) ، الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .

تـــبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ٠ قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ٠ فخرج على قومه في زينـــته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لـــذو حـــظ عظيم ٠ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمـــل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ٠ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ٠ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ٠ تلـــك الـــدار الآخـــرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ [١]

وأكـــثر المؤرخين والمفسرين على أن قارون ابن عم موسى عليه الصلاة والسلام .

قـــال قتادة : وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري[٢] . [٣] فأهلكه البغي لكثرة ماله .

---

(١) سورة القصص رقمها (٢٨) ، الآيات (٧٦–٨٣) .
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق بن حسن القنوجي البخاري / ١٤٧/١٠.
– وتفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي / جـ ٢٠ / ص٩٢–٩٣ .
– والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / د. وهبه الزحيلي / ج٢٠ ص ١٥٩ .
(٣) السامري : رجل فلسطيني من قبيلة السامرة رحل إلى مصر بعد إقامة بني إسرائيل فيها ، وكان مع قوم موسى عند خروجهم من مصر ، وكان منافقاً يظهر الإيمان لموسى ، ويخفي الكفر ، وقد أضل بعض القوم الذين كانوا مع هارون وسولت له نفسه أن يفتنهم بعبادة العجل الذي صنعه لهم ، ولأنه كان يعرف صناعة التماثيل ٠ راجع الآيات من سورة (طه) ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ .
– المفردات في غريب القرآن / للراغب الأصبهاني / ٣٥٣ .
– ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية / محمد إسماعيل إبراهيم / ٢٥١ .
– التفسير الكبير / للفخر الرازي / ج٢ / ١٠٠ .
– الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي / ١١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ .
– روح المعاني / للألوسي / م ١٠ / ج٢٠ / ص١١٠ .
– قصص الأنبياء / لابن كثير /تحقيق الدكتور عبد الحي الفرماوي / ص٥١٣.

وقـد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه ، حتى إن مفاتحه كان يثقل حملها على الفئام[١] من الرجال الشداد .

وقـد وعظه النصحاء من قومه قائلين : ﴿ **لا تفرح** ﴾ أي لا تبطر بمـا أعطيـت وتفخـر على غيرك : ﴿ **إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ الذين يطغيهم الفرح ويعمي بصائرهم عن الحق والخير .

ولتكـن همـتك مصـروفة لتحصيل ثواب الله عز وجل في الدار الآخرة . فإنه خير وأبقى.

وتـناول مـن الدنـيا ومتاعها بمالك ما أحل الله تعالى لك بالملاذ والطيبات الحلال .

وأحسن إلى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبارئهم إليك .

ولا تسـيء إلـيهم ولا تفسـد في الأرض ، فيعاقبك الله عز وجل ويسلبك ما وهبك.

﴿ **إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ .

فمـا كان جوابه لقومه على هذه النصيحة الفصيحة القويمة إلا أن قـال : ﴿ **إنما أوتيته على علم عندي** ﴾ يعني أنا لا أحتاج إلى استماع ما ذكرتم ، ولا إلى ما أشرتم ، فإن الله أعطاني هذا لعلمه أني أستحقه ، وأني أهل له ، ولولا أني حبيب إليه وحظي عنده لما أعطاني ما أعطاني .

قال الله تعالى رداً عليه : ﴿ **أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا** ﴾ .

واستمر في غروره وطغيانه وفساده وعجبه بنفسه إلى درجة يحكيها القرآن بقوله : ﴿ **فخرج على قومه في زينته** ﴾ في تجمل عظيم وزينة بهية من ملابس ومراكب وخدم وحشم ، فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله ، وغبطوا بما عليه وله.

فلمـا سمع مقالتهم العلماء ذووا الفهم الصحيح الزهاد الألباء قالوا لهـم : ﴿ **ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً** ﴾ أي ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى واجل وأعلى . ﴿ **ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ أي مـا يلقى هذه النصيحة وهذه المقالة ، وهذه الهمة السامية إلى الدار الآخرة

---

(١) الفئام : أي الجماعة من الناس .
- لسان العرب / لابن منظور / ج٥ / ص٣٣٣٦ / ط. دار المعارف .

العلـية ، عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده ، وأيد لبه ، وحقق مراده[١] .

ثم ذكر الله تعالى عقوبة قارون وعاقبته المظلمة وجزاءه المناسب لفخره وغروره وتكبره فقال تعالى : ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** ﴾ فإنه لما أشر وبطـر وعتا خسف الله به وبداره الأرض جزاء على عتوه وبطره والفاء تـدل على تعقيب ساعة خروج قارون في ازدهائه وزينته على قومه ومر بجحفلة وبغاله وملابسه تمنى قوم أن يكونوا مثله[٢] .

والخسـف : انقلاب بعض ظاهر الأرض إلى باطنها ، وعكسه ، وإنما يكون الخسف بقوة الزلزال[٣] .

والباء في قوله : ﴿ **فخسفنا به** ﴾ باء المصاحبة أي خسفنا الأرض مصاحبة له ولداره . فهو وداره مخسوفان مع الأرض التي هو فيها[٤] .

وقد جاءت أحاديث صحيحة تصور حادثة الخسف هذه لقارون فقد روى الـبخاري من حديث الأزهري عن سالم عن أبيه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به ، فهو يتجلجل[٥]

---

(١) قصص الأنبياء / لابن كثير / تحقيق الدكتور عبد الحي الفرماوي / ص ٥١٣-٥١٤ بتصرف
- فتح البيان في مقاصد القرآن / لصديق بن حسن القنوجي البخاري / ١٠/ ١٤٩-١٥٣
(٢) قصص الأنبياء / لابن كثير / تحقيق الدكتور عبد الحي الفرماوي / ص ٥١٤ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير / لابن عاشور / ج٢٠ / ص١٨٥ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) يتجلجل : يتحرك وينزل مضطرباً (أي يغوص في الأرض حتى يخسف به . والجلجلة حركة مع صوت)(أ)
قيل : يحتمل أن هذا الرجل من هذه الأمة فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه سيقع هذا .
وقيل : بل هو إخبار عمن قبل هذه الأمة وهذا هو الصحيح(ب) .
أ – النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير / ج١ / ص٢٨٤ .
– حاشية الإمام السندي بهامش سنن النسائي / ج٨ / ص٢٠٦ .
ب – شرح النووي على صحيح مسلم / ج١٤ / ص٦٤ .

في الأرض إلى يوم القيامة)[١] .

فلمـــا خسف به وهلك مع ماله ومتاعه وزينته لم يكن له ناصر من نفسه ، ولا من غيره ينقذه من هذا الخسف المهلك .

يقـــول تعالى : ﴿ **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** ﴾

ومـــن قصـــة قارون ومواقفه الدالة على غروره وعتوه واستكباره وتفاخـــره بمالـــه من مال وزينة ومتاع وما اصبح له من خطر تعدي نفسه المجرمة إلى بني قومه ومجتمعه الأمر الذي جعل بعضهم يتمنى أن يكون له مثل مال وزينة قارون .

فقـــد أصبح قارون قوة مؤثرة في مجتمعه تحرك المجتمع وتوجهه وبذلك صار فاسداً في نفسه ضالاً ومفسداً ومضلاً لغيره .

فكـــان مـــن عـــدل الله تعالى ورحمته بهذا المجتمع الذي كان فيه قـــارون أن نزع منه مصدر الفساد وأساس الشر فكان أن خسف الله تعالى بـــه وبداره الأرض ليكون عظة وعبرة لكل نفس طاغية باغية مفرطة في الترف المؤدي إلى الفساد والشر .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب بدء الخليقة / باب رقم ٦٦ / ج٤ / ص٢١٥ .
وكتاب اللباس / باب من جر ثوبه من الخيلاء / ج٧ / ص١٨٣ .
وأخرجه مسلم في صحيحه / كتاب اللباس والزينة / باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه / ج٣ / رقم٥٠ / ص١٦٥٤ (عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : بينما رجل يتبختر ، يمشي في بردية ، فقد أعجبته نفسه ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .
– وأخرجه النسائي في سننه / كتاب الزينة / التغليظ في جر الإزار /٢٠٦/٨/ (عن عبد الله بن عمر) .
– وأخرجه أحمد في مسنده /٦٦/٢/ ط. دار الفكر العربي .
– والتبريزي في مشكاة المصابيح /٢/رقم٤٣١٣/ ص١٢٤١ .
– وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة /ج٤/ص١٢ .
– راجع زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي / ج٦/ص٢٤٤-٢٥٥ .
– وفتح الباري /ج١٠/رقم٥٧٨٩/ص٢٦٩/ ط. دار الريان للتراث / القاهرة .

لـــترجع الـــنفوس إلى عقولها وتتبين مكان النفع والشر في أعمالها وأقوالها .

والأمـــثلة الموضـــح لعقوبة المترفين الفاسدين المفسدين في القرآن العظـــيم كثـــيرة متـــنوعة اكتفيت ببعضها لعل يكون في ذلك عبرة وعظة للألباء ذوي العقول السليمة والفهوم المستقيمة والنفوس المتنورة .

الخاتمة

بيان النتائج والمفاهيم المستفادة من هذه الدراسة

أولاً : أن الترف والمترفين لم يذكروا إلا في السور المكية فقط ، ولم يجيء ذكر للترف في السور المدنية ، ولعل الحكمة في هذا - والله أعلم - أن السور المكية جل تركيزها على تقوية وتثبيت التوحيد ودعائمه وبراهينه في القلوب مع إبطال الشرك وتفنيد مزاعم المشركين والمعاندين والضالين .

وكان الأغنياء وأهل الترف والتنعم هم القائمون المجدون الساعون بكل ما يملكون من قوة إلى الصد عن سبيل الله عز وجل ودينه الحق الذي جاءت به رسل الله عليهم الصلاة السلام .

وهم الدائمون المصرون على الباطل والمجادلون بالشبهات الزائفة للرسل والأنبياء ودعاة الخير .

ومن ثم جاءت السور المكية بذكرهم من قبيل تعريف الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما يكون منهم فيكون في ذلك تعريفاً له - صلى الله عليه وسلم - بأمرهم وتسليته وتصبيراً له - صلى الله عليه وسلم - على إيذاء قومه وفظاعتهم ومخالفتهم .

ثانياً : ظهر للدراسة أن الإتراف وكثرة المال وسعة الغنى لا يكون مذموماً إلا إذا أدى إلى طغيان وفساد صاحبه فصار مغروراً متكبراً فظاً مسرفاً على نفسه وعلى الناس .

ثالثاً : اكتشفت الدراسة أن الله عز وجل قد ذكر أهل الكفر والفساد بأسماء وصفات دالة على سبب عتوهم وفسادهم فأطلق عليهم : الكفار ، المشركين ، الظالمين ، المجرمين ، الضالين ، المترفين ، إلى غير ذلك من أوصافهم المبثوثة في آيات القرآن الحكيم .

رابعاً : أبانت الدراسة أن الوعيد الذي أوعد الله تعالىٰ به المترفين ومن على شاكلتهم يتوافق ويتناسب حسب الأعمال والسلوك الذي يعملونه ويسلكونه .

خامساً : أظهرت الدراسة أن القرآن الكريم في الوعيد أسلوب بليغ معجز من شأنه أن يغرس في القلب الخوف والهلع والفرع والإقناع ، ويجعل من أراد الله تعالى له الهداية والرشد أن يقلع عن غيه وضلاله ويسلك طريق الحق ويتبع سبيل الله المستقيم .

سادساً : أن الوعيد والعقاب الذي أنذر الله تعالى به المترفين يكون في الدارين : دار الدنيا ودار الآخرة .

سابعاً : أن عذاب المترفين وعقابهم في الدنيا يكون بالهلاك والتدمير والاستئصال والخسف المهلك لهم ولما يملكون من متاع وزينة الحياة الدنيا .

ثامناً : أن الترف له آثار ظاهرة على أصحابه أنفسهم وعلى أهلهم وأتباعهم ومجتمعاتهم .

وبناء على هذه النتائج والثمرات المستفادة من هذا التتبع المتدبر لآيات المترفين في القرآن المبين .

أرى أن على أولي الأمر والقائمين والمهتمين بشئون تعليم الأطفال والشباب التركيز الدائم على الاعتدال في المعيشة وحسن الإنفاق للمال والطريقة السوية العادلة في المطعم والمشرب والملبس مسترشدين في ذلك بآيات القرآن الحكيم وبسنة سيد المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وبذلك يخرجون رجالاً وشباباً وشابات بعيدين عن الإسراف في الشهوات والملذات والتوسع في التنعم بالنعم ، فيكونون مسلمين صالحين مصلحين لأنفسهم ولأهليهم ولمجتمعاتهم.

والله الموفق والهادي إلى الحق والخير .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر / تحقيق : علي محمد البجاوي / دار الجيل : بيروت / الطبعة الأولى : ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

٢ – أسد الغابة في معرفة الصحابة / لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ٥٥٥-٦٣٠هـ / تحقيق وتعليق : محمد إبراهيم البنا – محمد أحمد عاشور – محمود عبد الوهاب فايد - دار الشعب .

٣ – الإصابة في تمييز الصحابة / لأبي الفضل أحمد علي العسقلاني المعروف بابن حجر المولود سنة ٧٣٣هـ الموافق ٣٧٤م المتوفى سنة ٨٥٢هـ الموافق ١٤٤٩م تحقيق : الدكتور محمد الزيني / الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى : ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .

٤ – التاريخ الكبير / لأبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري ، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ٨٦٩م / دار الكتب العلمية : بيروت - لبنان .

٥ – تجريد أسماء الصحابة / للحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ٦٧٣ – ٧٤٨هـ / الناشر : دار المعرفة : بيروت – لبنان .

٦ – تفسير البحر المحيط / لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ٦٥٤ – ٧٥٤هـ / دار الفكر / الطبعة الثانية : ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

٧ – تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل / للحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المتوفى ٥١٦هـ / إعداد وتحقيق : خالد عبد الرحمان العك ومروان سوار / دار المعرفة : بيروت – لبنان / الطبعة الأولى : ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

٨ – تفسير التحرير والتنوير / للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور / الدار التونسية للنشر : تونس ١٩٨٤م .

٩ – تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل / لعلاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن / دار المعرفة : بيروت – لبنان .

١٠ – تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل / لمحمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٣٢٢هـ / تحقيق الأستاذ : محمد فؤاد عبد الباقي / اعتنى به وصححه : الشيخ هشام سمير البخاري ، دار إحياء التراث العربي : بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ ١٩٤م .

١١ – تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار / للسيد محمد رشيد رضا – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٢ – تفسير القرآن العظيم / للحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ / طبعة دار المعرفة ، بيروت – لبنان ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م .

١٣ – التفسير الكبير / للإمام الفخر الرازي / المطبعة البهية المصرية / الطبعة الأولى : ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م .

١٤ – تفسير المراغي / لأحمد مصطفى المراغي / دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان / الطبعة الثالثة : ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .

١٥ – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج / للدكتور وهبة الزحيلي / دار اللفكر المعاصر / بيروت / الطبعة الأولى : ١٤١١ هـ ١٩٩١م .

١٦ – تقريب التهذيب / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣ – ٨٥٢هـ / حققه وعلق عليه ووضحه وأضاف إليه أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني / دار العاصمة / المملكة العربية السعودية / الرياض / النشرة الأولى : ١٤١٦هـ .

١٧ – تنوير المقباس من تفسير ابن عباس / دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان .

١٨ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال / لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ٦٥٤ – ٧٤٢هـ حققه ، وضبط نصه ، وعلق عليه :

الدكتور بشار عواد معروف / مؤسسة الرسالة : بيروت / الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
١٩ – الجامع لأحكام القرآن / لبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / دار إحياء التراث العربي : بيروت – لبنان – عام ١٩٦٥م .
٢٠ – حاشية الإمام السندي بهامش سنن النسائي / دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان .
٢١ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور / للإمام جلال الدين السيوطي / الناشر : دار المعرفة : بيروت – لبنان .
٢٢ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / للسيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧هـ / دار الفكر .
٢٣ – زاد المسير في علم التفسير / لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ٥٠٨ – ٥٩٧هـ / المكتب الإسلامي ، بيروت – ودمشق / الطبعة الثالثة : ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
٢٤ – سلسلة الأحاديث الصحيحة / لمحمد ناصر الدين الألباني / مكتبة المعارف / الرياض / ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٢٥ – السنن الكبرى / لأبي بكر بن أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة / دار الفكر .
٢٦ – سنن النسائي / المكتبة العلمية : بيروت – لبنان .
٢٧ – شرح النووي على صحيح مسلم / المطبعة المصرية ومكتبتها .
٢٨ – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / لإسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين : بيروت / الطبعة الثانية : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٩ – صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زيه البخاري الجعفي / دار إحياء التراث العربي : بيروت – لبنان .

٣٠ – صحيح مسلم / للإمام أبي الحسين مسلم الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ – ٢٦١هـ / تحقيق وتصحيح وتعليق / محمد فؤاد عبد الباقي / دار الكتاب المصري : القاهرة .
٣١ – صفوة التفاسير / لمحمد علي الصابوني / مطابع الدوحة الحديثة / الدوحة – قطر / الطبعة الثانية : ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
٣٢ – الطبقات الكبرى / لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد / دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان / الطبعة الأولى : ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .
٣٣ – فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣ – ٨٥٢ / قام بإخراجه وتحقيقه : محب الدين الخطيب / رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي / راجعه وصحح تجاربه وأشرف على طبعه : قصي محب الدين الخطيب / المكتبة السفلية : القاهرة / الطبعة الثالثة : ١٤٠٧هـ .
٣٤ – فتح البيان في مقاصد القرآن / لأبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ١٢٤٨ – ١٣٠٧هـ / عني بطبعه وقدم له وراجعه خادم العلم : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري / إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م .
٣٥ – فتح الرحمان بكشف ما يلتبس في القرآن / لأبي يحيى زكريا الأنصاري ، حققه وعلق عليه : محمد علي الصابوني / عالم الكتب : بيروت ، الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .
٣٦ – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، وفاته بصنعاء ١٢٥٠هـ الناشر : محفوظ العلي : بيروت .
٣٧ – في ظلال القرآن / لسيد قطب / طبعة دار الشروق : بيروت والقاهرة / الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .
٣٨ – القاموس المحيط / لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي / المتوفى سنة ٨١٧هـ / الناشر : مؤسسة الحلبي : القاهرة .

٣٩ – قصص الأنبياء / للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ / تحقيق : الدكتور عبد الحي الفرماوي / الناشر : دار الطباعة والنشر الإسلامية / القاهرة / الطبعة الأولى : ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م .

٤٠ – الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ – ٥٣٨ / دار المعرفة : بيروت – لبنان.

٤١ – لسان العرب / لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري / دار صادر : بيروت – لبنان ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٤٢ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، المتوفى سنة ٨٠٧ / دار الكتاب العربي : بيروت – لبنان / الطبعة الثالثة : ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٣ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي / تحقيق وتعليق عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري – السيد عبد العال السيد إبراهيم – مؤسسة دار العلوم : الدوحة – قطر / الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٤٤ – المسند / للإمام أحمد بن حنبل ١٦٤-٢٤١ / شرحه وصنع فهارسه : حمزة أحمد الزين / دار الحديث : القاهرة / الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

وتحقيق : شعيب الأرناؤوط – ومحمد نعيم العرقسوسي – وإبراهيم الزيبق / مؤسسة الرسالة / الطبعة الأولى : ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٤٥ – مسند الشهاب / للقاضي أبي عبد الله بن سلامة القضاعي / حققه وخرج أحاديثه : حمدي عبد المجيد السلفي / مؤسسة الرسالة : بيروت / الطبعة الأولى : ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٤٦ – مشكاة المصابيح / لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي / تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي : بيروت ، الطبعة الثالثة : ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٤٧ – معجم الألفاظ والأعلام القرآنية / لمحمد إسماعيل إبراهيم / دار الفكر العربي / القاهرة.

٤٨ – المعجم الكبير / للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / ٢٦٠هـ-٣٦٠هـ / حققه وخرج أحاديثه : حمدي عبد المجيد السلفي / مطبعة الزهراء الحديثة – موصل الطبعة الثانية : ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .

٤٩ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / وضعه محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة الإسلامية : استنابول – تركيا / ١٩٨٢م .

٥٠ – المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية / مطابع الأوفست / الطبعة الثالثة / ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٥١ – المفردات في غريب القرآن / للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني / أعده للنشر وأشرف على الطبع : الدكتور محمد أحمد خلف الله ، الناشر : مكتبة الأنجلو المصرية .

٥٢ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / للمفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ = ١٤٨٠ م / مكتبة ابن تيمية : القاهرة / الطبعة الأولى : ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

٥٣ – النهاية في غريب الحديث والأثر / لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري / تحقيق : طاهر أحمد الزاوي : محمود محمد الطناحي / المكتبة العلمية : بيروت .